14 me Année No. 701

Lundi — 9 — 12 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٠١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ محرم سنة ١٣٦٦ — ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الأمثال العـــالمية

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

كتب إلى الأستاذ عبد القادر الكرمانى بحلب خطاباً ينبئنى فيه « أنه يضع كتاباً عن الأمثال العالمية بلغة الضاد ، وينقل إلى لغتنا العزيزة ما وصلت إليه يده من أمثال الأمم الأخرى على اختلاف أجناسها وأصقاعها ، وقد أرهف نفسه للسؤال عن ناحية هامة فى المثل وهى : هل وضع الأمثال مقصور على الأسلاف فقط؟ وهل لنا معشر الخلف أن نضع أمثالا أسوة بمن سبقونا ؟ وإذا جاز وضع الأمثال لناوضربها فى مختلف شئون الحياة فما هى الشروط التى يجب أن تتوافر فيما نود أن نتخذه مثلا ؟ وإذا كان وضع المثل محصوراً فيمن تقدمونا فلم هذا الحصر وما هو الباعث له ؟ وهل اتفقت الأمم جمعاء على السير فى منهاج واحد ؟ أم أن هناك اختلافاً بين شعوب الأرض ؟ ... »

وأقول : إن مكان هذا الكتاب الذى يشتغل به الأستاذ الكرمانى لا يزال ناقصاً فى اللغة العربية ؛ لأنها اللغة الوحيدة فيما نعلم بين لغات الحضارة التى خلت من كتاب جامع لأمثال الأمم أو للأمثال العالمية على حسب موضوعاتها أو على حسب أقوامها ، وهو الموضوع الذى جمعت فيه باللغات الأوربية أسفار ضخام تجمع تلك الأمثال بترتيب أغراضها تارة وبترتيب أقوامها تارة أخرى

وأحسب أن اللغة العربية أحوج إلى هذه المجموعة من اللغات الأوربية ، لأن العرب « سلفيون » يكثرون الرجوع إلى الأمثال ، ولأن الناقلين الأوربيين يخطئون فيما ينقلونه من أمثالهم وينسبونه إلى الأمم الشرقية الأخرى لاشتراك هذه الأمم جميعاً فى الدين وفى أحكام آدابه التى تضرب بها الأمثال . ويبلغ من خطئهم فى هذا أننا رأينا آيات قرآنية وأحاديث نبوية منسوبة إلى الغرب أو إلى الهند لأنها وردت فى أقوال الحكماء والمتصوفة من أبناء الأمم الهندية أو الفارسية ، فإذا اهتم أديب عربى بجمع الأمثال العالمية فهو أحق الناس بتصحيح هذه الأخطاء وتمييز الأمثال الشرقية على حسب الأجناس واللغات . ولا شبهة فى لزوم هذا التمييز ، لأن الخلط بين أمثال العرب والفرس والهند مخالف للواقع من جهة ، ومضلل للباحث فى مقابلات الأمثال من جهة أخرى ؛ إذ لا يخفى أن مسألة الأمثال مسألة « اثنولوجية » لها دلالتها على أطوار الأمم وعاداتها وبواعث تفكيرها ووسائل تعبيرها . فلا يشعر الفارسى بالحقيقة الواحدة كما يشعر بها العربى فى البادية أو الحاضرة ، ولا تقع المقارنة بين الحقيقة كما يعبر عنها المثل العربى والحقيقة كما يعبر عنها المثل الفارسى إلا ظهرت من هذه المقارنة خصائص الأمتين وعادات كلتيهما فى المعيشة وأسلوبهما فى الملاحظة والتعبير ، وقد يكون للمثلين شاهد واحد أو موضع استشهاد

واحد ، ولكن الاختلاف بين الشاهدين هو الذي يدلنا على اختلاف الخصائص والعادات ويفيدنا تلك الفائدة الأثنولوجية التي يبحث عنها علماء الأجناس والسلالات

فكتاب الأستاذ الكرمانى منتظر ومطلوب ومفيد ، ونرجو له التوفيق فى إتمامه على الوجه المنتظر المطلوب الذى تتحقق به فائدة اللغة العربية وفائدة المعرفة الإنسانية على التعميم .

أما سؤال الأستاذ عن حق الخلف فى وضع الأمثال ، فهو كحق السلف فى اعتقادنا بلا اختلاف ، لأن أبناء الجيل الحاضر سلف بالنسبة إلى الأجيال التى تعقبهم وتقتبس من حكمتهم وتجربتهم وتروى ما بقى من آثارهم وأخبارهم ، فإذا تاق الأعقاب عنهم كلمات صالحة للرواية والاستشهاد ، ودارت هذه الكلمات دورتها على الألسنة كما دارت من قبلها كلمات آبائنا وأجدادنا ، فتلك هى الأمثال يضربها أبناء جيل لأبناء الأجيال ، وذلك هو الحق الوحيد الذى يستند إليه واضع الأمثال .

ولكننى أحسب الأستاذ يسأل عن الأمثال التى يضعها أبناء الجيل الحاضر لأبناء الجيل الحاضر ، ويرى لها موقعاً مختلفاً من موقع الأمثال الموروثة عن الأجيال الغابرة ، وله الحق فيما يراه .

فالأمثال « سلفية » فى طبيعتها ودلالتها ، وقيمة هذه الدلالة آتية من اعتقاد الناس أنها دالة على إجماع التجارب واتفاق العبر بين الغابرين والحاضرين . فإذا حدثت الحادثة اليوم وسمعنا مثلا يلخص انا الحكم على حادثة مثلها وقعت قبل مئات السنين ونظر الناس إليها يومئذ كما ننظر إليها اليوم ، فهذه هى عبرة الأمثال ، وهذه هى دلالتها لمن يروونها ويستشهدون بها فى مواقعها ، وهذه هى قوة الإقناع التى تستفاد من تجارب السلف ويتخذها الخلف رائداً له فى حوادث الحياة .

لهذا ترجح أمثال الجيل الغابر على أمثال الجيل الحاضر ، فهى حجة القدم واتفاق التجربة دون غيرها ، وهى حجة لا تتاح لأقوال المعاصرين فى زمانهم إلا إذا طال بها العهد حتى توافت عليها العبر وتكررت عليها الشواهد وصح بها الاستدلال

لكن الثقة بالسلف ليست هى الثقة الوحيدة فى مقام الاستشهاد ، ونحن نؤكد الرأى بإسناده إلى زعيم موثوق بعقله وصدقه كما نؤكده بالإسناد إلى الآباء والأجداد .

ولهذا يجوز أن يصدر المثل من الجيل الحاضر للجيل الحاضر ، ويجوز أن ينهض الزعيم الموقر بين قومه فيتخذ له شعاراً يجرى بينهم مجرى الأمثال ويكررونه فى مقام الاستشهاد والاستدلال .

ولا شروط لشيوع المثل تكفل له البقاء على سبيل الحتم والإلزام ، فإن شيوع المثل لا يتأتى بإرادة واضعه ولا بإرادة مروجيه ، وإنما يتأتى بشيوع الحاجة إلى تكراره ارتجالا بغير روية ولا اتفاق ، فتسقط أقوال كثيرة مع بلاغتها ، لأنها لا تخطر على البال فى أعم المناسبات وأدعاها إلى الاعتبار ، وتسرى أقوال كثيرة مع بساطتها لأنها تخطر على البال فى كل مناسبة وتعبر عن « الحالة » فى نفوس قائليها والمستشهدين بها .

ولكن الملحوظ فى جميع الأمثال السارية أنها تجمع بين السهولة والبساطة ودواعى الشعور المشترك بين العديد الأكبر من جملة الطوائف والطبقات ، وإن الحكم للمضادفة فيها أقوى من الحكم للموازنة والاختيار .

وقد تنسب الكلمة إلى زعيم فتشيع لأنها نسبت إليه وهو لم يفه بها ولم يقصد بها قط ما قصده المرددون والمستشهدون ، ومن أمثلة ذلك أن عامة المصريين يقولون فى بعض المناسبات : سعد باشا قال : « مفيش فايدة .. »

وسعد باشا لم يقل هذه الكلمة فى المناسبات التى يريدونها ، وإنما قالها عدلى باشا بالإنجليزية على مسمع من سعد باشا واللورد ملنر فغضب منها سعد وأنكر أن يعدل المتكلمون عن اللغة التى كانوا يتكلمونها إلى اللغة الإنجليزية ليقولوا بها عن مناقشته ما معناه بالعامية : « مفيش فائدة »

إلا أن الكلمة كان لها شأن خطير فى السياسة المصرية ، وعرف عامة المصريين ما كان لها من الأثر فى علاقات الزعماء والعلاقات بين مصر والدولة البريطانية ، ونسوا مناسبتها ولم يذكروا إلا كلمة « مفيش فايدة »... وإن سعد باشا قالها ونفض يديه من المحادثات الملتوية فى ذلك الحين ، فصارت مثلا لأنها سجلت « حالة » من حالات زعيم كبير ، وهى حالة قابلة للتكرار فى كل يوم ، فليس أكثر من الحالات التى تنفض منها اليدان ويرفضها المرء مغضباً وهو يقول : « مفيش فايدة ! »

على أن الأجيال تختلف فى السليقة « المثلية » أو فى السليقة